معسكر الكشافة الأهلى برومانيا

— ٥ —

كَانَ مُقَرَّراً أَنْ يُفْتَتَحَ الْمُعَسْكَرُ رَسْمِيًّا فى تَمَامِ السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَالنِّصْفِ مِنْ مَسَاءِ يَوْمِ الْوُصُولِ . وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ فى الْمَرَّةِ الْمَاضِيَةِ كَيْفَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ بَدَأَتْ لَنَا كُسُنَا مُنْذُ الصَّبَاحِ : فَالشَّمْسُ غَائِبَةٌ يَحْجُبُهَا عَنِ الأَنْظَارِ سَحَابٌ مُعْتِمٌ كَثِيفٌ ، وَالْبَرْدُ شَدِيدٌ لاَ يُحْتَمَلُ ، وَالْمَطَرُ يَتَسَاقَطُ مِنَ السَّمَاءِ بِدُونِ انْقِطَاعٍ .

وَدَنَا مَوْعِدُ الاِفْتِتَاحِ ، وَالْمَطَرُ مَا زَالَ يَنْهَمِرُ كَأَنَّمَا يَنْصَبُّ عَلَيْنَا مِنْ أَفْوَاهِ الْقِرَبِ ، وَأَرْضُ الْمُعَسْكَرِ قَدْ غَطَّاهَا الْمَاءُ ، وَالْخِيَامُ أَصْبَحَتْ فى بَيَاضِ لَوْنِهَا إِلَّا شَبِيهَ بِقِلَاعِ الْمَرَاكِبِ حِينَ تَعْلُو فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ .

وَبَدَأْنَا نَرْتَابُ فِيمَا إِذَا كَانَ الاِفْتِتَاحُ سَيَتِمُّ فى مَوْعِدِهِ ، وَأَخَذْنَا نَتَخَيَّلُ صُعُوبَةَ الْعَمَلِ فى مِثْلِ ذَلِكَ الْجَوِّ الْمَاطِرِ الَّذِى لاَ يُطَاقُ ، وَاعْتَقَدَ كَثِيرٌ مِنَّا أَنَّ نِظَامَ الْمُعَسْكَرِ سَيَخْتَلُّ تَحْتَ قَسْوَةِ هَذِهِ الظُّرُوفِ . لَكِنَّ صَوْتَ الْمِذْيَاعِ قَدْ قَطَعَ عَلَيْنَا التَّفْكِيرَ ، وَذَكَّرَنَا بِأَنَّ وَاجِبَ الْفِرَقِ أَنْ تَكُونَ فى الْمَكَانِ الْمُعَدِّ لَهَا قَبْلَ الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ بِعَشْرِ دَقَائِقَ ، وَأَنَّ جَلَالَةَ الْمَلِكِ (كَارُولَ) سَيَصِلُ فى مُنْتَصَفِ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ تَمَامًا .

إِذَنْ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَجَاهَلَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ بَرْدٍ وَوَحَلٍ وَمَطَرٍ ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ فَنَلْبَسَ مَلَابِسَنَا ، وَنَضَعَ شَارَاتِنَا ، وَنُنَظِّمَ صُفُوفَنَا ، لِنَظْهَرَ بَيْنَ الدُّوَلِ فى مَظْهَرٍ مُشَرِّفٍ يَلِيقُ بِنَا كَمِصْرِيِّينَ . . . فَإِذَا دَنَا الْوَقْتُ تَرَكْنَا الْخِيَامَ فى نِظَامٍ بَدِيعٍ ، وَسِرْنَا يَتَقَدَّمُنَا عَلَمُنَا الأَهْلِىُّ يَخْفِقُ فى جَوِّ (رُومَانِيَا) فَتَخْفِقُ مَعَهُ قُلُوبُنَا ، وَقَدْ تَوَحَّدَتْ خُطَانَا ، وَانْتَظَمَتْ مِشْيَتُنَا ، وَبَدَا الطَّرْبُوشُ فى وَسَطِ الْقُبَّعَاتِ أَحْمَرَ يَجْذِبُ الأَنْظَارَ .

هِيَ بُطُولَةٌ تَخْلُقُهَا حَيَاةُ الْكَشَّافَةِ فِي الشَّبَابِ وَرُجُولَةٌ تُنْشِئُهُمْ عَلَيْهَا إِنْشَاءً ، وَتِلْكَ ثَمَرَةٌ تَعَالِيمِنَا وَنَتِيجَةٌ لِتَجَارِبِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَقْضِيهَا

لَمْ تَكُنْ هُنَالِكَ إِلَّا سَارِيَةٌ لِحَمْلِ الْأَعْلَامِ ، وَمِنْ حَوْلِهَا فَضَاءٌ مُتَّسِعٌ ، لَيْسَ فِيهِ مَقْعَدٌ وَاحِدٌ لِلْجُلُوسِ ! ! وَأَخَذْنَا نَتَرَقَّبُ مَرْكَبَ

صاحب الجلالة ملك رومانيا

صاحب السمو ولي عهد رومانيا

الْكَشَّافُونَ فِي رِحْلَاتِهِمْ وَمُعَسْكَرَاتِهِمْ ، يَعْتَمِدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُلَاقُونَ الصِّعَابَ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا . . . لَكِنِ انْظُرْ كَيْفَ أَخَذَنَا نَسْتَصْغِرُ بُطُولَتَنَا ، وَنَرَى أَنَّ ذَلِكَ الاحْتِمَالَ كَانَ أَمْرًا بَسِيطًا .

وَلَعَلَّكَ كُنْتَ تَنْتَظِرُ أَنْ يَكُونَ فِي مَكَانِ الاِحْتِفَالِ مِظَلَّةٌ تَقِي الْمَلِيكَ مِنَ الْمَطَرِ ، طولَ سَاعَاتِ الاِحْتِفَالِ ، وَلَكِنَّ الْوَاقِعَ أَنَّهُ

الْمَلِكِ ، وَلَكِنَا بُهِتْنَا ، حِينَ رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ الطَّوِيلَةَ بَيْنَ (مَقْصُورَتِهِ) وَبَيْنَ مَكَانِ الاِحْتِفَالِ مَشْيًا عَلَى قَدَمَيْهِ ! !

حَسِبْنَا أَنْفُسَنَا أَبْطَالًا ، نَحْنُ الَّذِينَ عُدْنَا الْحَيَاةَ الشَّاقَّةَ فِي بُيُوتِنَا وَمُعَسْكَرَاتِنَا ، فَبِمَاذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِفَ هَذَا الْمَلِكَ الْعَظِيمَ ؟ ! رَجُلٌ تَعَوَّدَ حَيَاةَ الْقُصُورِ وَفَخَامَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ أُبَّهَةٍ وَجَلَالٍ ، وَتَرَبَّى فِي بَحْبُوحَةِ الْعَيْشِ

رجل هذا حاله ، يخرج من مقصورته في لباس الكشافة القصير ، ويخوض كما خاض الماديون أمثالنا في الماء والوحل والطين ، ويتعرض لهذا البرد وذلك المطر في ابتسامة حلوة ، ويستمر معنا ثلاث ساعات واقفاً على قدميه حتى ينتهي الاحتفال .

قد تبدو هذه المظاهر للرجل العادي مدهشة غير طبيعية ، ولكن الواقع أن مثل هذه الأمور والتصرفات طبيعية لا تكلف فيها بالنسبة لرجل محب للرياضة مُلِمٍ بتعاليم الكشافة .

* * *

كان الاحتفال رغم رداءة الجو احتفالاً فخماً مهيباً ، وكان النظام طول الوقت نظاماً تاماً بديعاً . . . وقف الملك ، وإلى يمينه ابن عمه (البرنس نيقولا) أحد رعاة الكشافة في رومانيا ، وقد أحاط به الوزراء والسفراء ورجال الدين ، وأعلن افتتاح المعسكر باسم الله ، ثم بدأ الحاضرون يغنون نشيد رومانيا القومي : تسمعه آلاف كشاف يحفظونه ويجيدون توقيعه ، لا فرق بين شبل وزهرة ، ولا بين كشاف ومرشدة ، وما تجدهم عندما يغنونه إلا جادين كأنما تنبعث ألفاظه من أعماق قلوبهم ، حتى كأنا نحن الذين نجهله نكاد نحس من حماستهم ونبرات أصواتهم أثر ما يقولون .

وكنت على مقربة من مكان وقوف الملك فهل تظنه كان مشاهداً منصتاً ، وهل تحسبه وقف ساكتاً يكتفي بالاستماع ؟ لا ، بل لقد كان يغني مع الكشافة بصوت عذب سمعته ، وكانت تقاطيع وجهه تنم عن شعور عميق وكذلك في جميع الأناشيد التي سمعناها يشترك جدياً مع شعبه ، ويغنيها مع أبناء وطنه في بساطة وسرور .

ولعل أجمل ما رأيناه بعد ذلك منظر القساوسة من الكشافة ، حين بدءوا بعد النشيد القومي يباركون المعسكر وحركة الكشافة ، وحين أخذوا يرتلون من الإنجيل آيات رتلها معهم ملايينهم . وكم كان الحاضرون خشعاً ، تؤثر فيهم آيات الإنجيل لأنهم كشافة يفرض عليهم قانونهم طاعة الله وأداء ما يفرضه عليهم من واجبات .

أخوك الجوال — عمار